

الباب الثاني

القضية : المواجهة والحل

" التحول في النموذجين : الديني والإسرائيلي "

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ
إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (٤٦)

(القرآن المجيد : العنكبوت {٢٩} : ٤٦)

بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفصل الأول

التحول في النموذجين : الديني والإسرائيلي

كما سبق وأن ذكرت في الباب الأول (الفصل الثاني عشر) ؛ إن حل مشكلة الشرق الأوسط يتلخص في اتجاهين – لا ثالث لهما – هما : المواجهة العسكرية .. وغالبا ما تتحقق هذه المواجهة بالتوازن العسكري في التسليح بين العرب وإسرائيل وبدون الحاجة إلى القتال المباشر وتتحقق هذه المواجهة بالنهوض بالبحث العلمي والتكنولوجي في المنطقة . والاتجاه الثاني يتحقق بالواجهة الفكرية مع الغرب ، وفي كلتا الحالتين يجب أن يسبقهما الإصلاح السياسي المفقود .. على النحو السابق ذكره .

والسؤال الآن : هل سنبقى هكذا – مكتوفي الأيدي وعاجزين – في انتظار ثورات شعوب ضعيفة .. أنهكها الفقر والألم للإطاحة بأنظمة أحكمت قبضتها الحديدية عليها .. أو أن تنتازل هذه الأنظمة – نفسها – طواعية عن الملك والسلطان (وكلاهما من درب المستحيلات) حتى نبدأ بالواجهة مع الغرب واتخاذ الخطوات الإيجابية نحو البدء في الشروع في الحل ..؟؟!!!

والإجابة على هذا السؤال : هو بالقطع لا ..!!! فقد لا نحتاج إلى إصلاح سياسي (على الرغم من ضرورته وحتميته) بشرط أن تعي هذه الأنظمة الحاكمة بحقيقة الخطر المحدق بها قبل شعوبها . وألا تقف – هذه الأنظمة – حجر عثرة في وجه انطلاق المنطقة في الاستثمار الجدي في البحث العلمي للوصول إلى التوازن الاستراتيجي المأمول (أو المعقول) مع إسرائيل . على أن يتم هذا جنبا إلى جنب مع العمل الإعلامي – على المستوى الدولي – للمواجهة السياسية والفكرية مع الغرب وإسرائيل على نحو مطلق .. والتي يمكن إجمالها – أي إجمال المواجهة السياسية والفكرية – في خمس كلمات فقط هي : التحول في النموذجين : الديني والإسرائيلي .

• أولا : معنى التحول في النموذج :

كما سبق وأن ذكرت فإن التحول في النموذج : هو تعبير أكاديمي يستخدم في مناهج البحث العلمي ويعني النقلة النوعية في الفكر الإنساني عندما تتغير إحدى الفرضيات الأساسية التي كانت سائدة فيه لفترة زمنية طويلة . ولم يحدث – على طول الحضارة البشرية – سوى تحولين فقط في النموذج : التحول الأول حدث في القرن السادس عشر عندما تغيرت نظرة الإنسان للنظام الشمسي من النظام البطليموسي (أي مركزية الأرض) إلى النظام الكوبرنيكي (أي مركزية الشمس) . أما التحول الثاني فقد حدث في بداية القرن العشرين عندما تغيرت نظرة الإنسان للعالم من عالم ثلاثي الأبعاد إلى عالم رباعي الأبعاد (أنظر الباب الأول – الفصل السابع من هذا الكتاب للتفاصيل) .

• ثانيا : التحول في النموذج الإسرائيلي :

في الواقع ؛ نجد أن موضوع نشأة إسرائيل وجذورها التاريخية بحاجة إلى تحول في النموذج ، فالنموذج السائد حتى الآن نتيجة لتزييف التاريخ القديم للمنطقة على أيدي الباحثين التوراتيين .. هو أنه كانت هناك " مملكة إسرائيلية عظيمة " حكمها داود ثم سليمان في فلسطين حوالي عام ١٢٠٠ ق.م. وهي فترة الانتقال بين العصر البرونزي المتأخر وأوائل العصر الحديدي . وهذا مجرد وهم زائف ، ويجب أن يحل محله نموذج آخر .. هو أن إسرائيل التاريخية هذه لم تكن إلا لحظة عابرة في مسيرة التاريخ الحضاري لفلسطين القديمة (راجع الباب الأول – الفصل الأول من هذا الكتاب) .. مثلها في ذلك مثل نشأة دولة " الهكسوس : Hyksos " في مصر القديمة إلى أن جاء الملك " أحمس " وطردهم من البلاد .

١ في حوالي القرن الثامن عشر قبل الميلاد (١٧٣٠ ق.م.) .. جاءت إحدى الموجات البشرية مهاجرة إلى مصر من شرقها ، واستطاعت أن تسيطر على الوادي متخذة الدلتا مركزا هاما لها لمدة طويلة .. قدرها المؤرخ " ماتيثون " بحوالي ٥١٠ سنة .. وعرف أهلها باسم " الهكسوس : Hyksos " . وقد تمكن أهل الجنوب في مصر بقيادة " الملك أحمس " من القضاء على مملكة الهكسوس وإعادة توحيد القطرين . لكن الهكسوس لم يعودوا جميعا من حيث أتوا .. بل أن فريقا كبيرا منهم ظل في مصر ، بينما مضى فريق آخر نحو الغرب حتى بلغ المغرب الأقصى وانتشر في شمال أفريقيا كله .

ولم يتفق الباحثون – كالعادة – حول أصل " الهكسوس " .. فمنهم من قال أنهم (ساميون) .. ومنهم من قال أنهم (كنعانيون) .. وفريق ثالث قال (فلسطينيون) .. لكن " ماتيثون " قال بأنهم عرب .. ويقصد بهذا أهل الجزيرة العربية بالذات . وقد لاقى رأي " عربوية الهكسوس " قبولا لدى طائفة كبيرة من الباحثين الآن . أما عن كلمة " هكسوس " فهي تعني – بالمصرية القديمة – " الملوك الرعاة : King-shepherds " . إذ تعني " hyk " ملك .. و " sôs " راعي .. أو رعاة . وعموما ؛ حتى معنى هذا الاسم مختلف عليه .

وبناء على ذلك ؛ يجب مواجهة الباحثين التوراتيين – على كل المستويات – بتاريخ فلسطين القديم كموضوع قائم بذاته وليس كخلفية لتاريخ إسرائيل كما هو حاصل في دراسات هؤلاء المزيفين .. وهي الدراسات التي أسكتت التاريخ الفلسطيني القديم ومنعته من التعبير عن نفسه لصالح التاريخ اليهودي . وقد قمت في كل كتاباتي – في مراجعي السابقة^٢ – إلى إعادة كتابة التاريخ الفلسطيني القديم من منظور ديني باستخدام العهد القديم والحديث . وقد أثبتت هذه الكتابات – بما لا يدع مجالاً لأي شك – عدم وجود حق تاريخي لليهود في إقامة دولة إسرائيل الحديثة في المنطقة . ولكن – وبكل أسف – نجد أن المنظور الحديث لإقامة دولة إسرائيل في المنطقة يستند ، إلى جانب تزييف التاريخ ، إلى موثيق ومعاهدات دولية جائرة تعكس كراهية الغرب للإسلام والمسلمين بصفة عامة !!!.. كما لم تركز – هذه الموثيق والمعاهدات الدولية – في الصراع مع الصهيونية إلا على الفترة الحديثة فقط ، لإثبات هوية اليهود وقوميتهم وحقهم في الحصول على دولة خاصة بهم ، مهملين بذلك تماماً الفلسطينيين ودولتهم الممتدة عبر التاريخ القديم لآلاف السنين !!!.. فحقيقة الأمر أن دولة إسرائيل القديمة لم تكن سوى لحظة عابرة في التاريخ الفلسطيني^٣ ، وبالتالي فإن " إسرائيل الحديثة " هي دولة مغتصبة بكل المعايير التاريخية والأخلاقية ، وأنها قامت على أساس " استعمار استيطاني إحلالي " باستخدام أفظع أساليب الإرهاب والإبادة والإجرام !!!..

إن عدم التعرض للتاريخ الديني القديم لليهود في المنطقة معناه التنازل طواعية عن دولة فلسطين ، والتنازل عن الحقيقة أيضاً ، لمصلحة الغرب ودولة إسرائيل الحديثة . وبديهي ؛ سوف تصبح لهذه الدراسات التاريخية الدينية القديمة انعكاساتها القوية ليس على التاريخ الحديث

٢ أنظر : " البعد الديني في الصراع العربي الإسرائيلي " ؛ و " بنو إسرائيل من التاريخ القديم .. وحتى الوقت الحاضر " لنفس الكاتب . مكتبة وهبة .

٣ يمكن تلخيص الدولة اليهودية القديمة المغتصبة على جزء من أرض فلسطين في التالي : دولة موحدة دامت لمدة ١٢٠ سنة في الفترة من ١٠٥٠ ق.م. إلى ٩٣١ ق.م. وتعاقب عليها شاول (طالوت) ، ثم داود ، ثم سليمان . ثم انقسمت هذه الدولة بعد موت سليمان (في سنة ٩٣١ ق.م.) إلى دولتين :

دولة " إسرائيل " في الشمال وعاصمتها " شكيم / ثم ترصة / ثم السامرة " ودامت لمدة ٢٠٨ سنة في الفترة من ٩٣٠ ق.م. إلى ٧٢٢ ق.م. إلى أن تم تدميرها بمعرفة الحضارة الآشورية (التي ظهرت في شمال العراق) وسباهم الملك شلمنأسر إلى آشور عام ٧٢٢ ق.م.

ودولة " يهوذا " في الجنوب وعاصمتها " القدس " واستمرت لمدة ٣٤٤ سنة في الفترة من ٩٣٠ ق.م. إلى ٥٨٦ ق.م. إلى أن دمرتها الحضارة البابلية (التي ظهرت في جنوب العراق) وسباهم الملك " نبوخذنصر " إلى بابل (مدينة الحلة العراقية الآن) .

فحسب ، لأنها تهدم الحجة الأساسية للصهيونية وهي : " العودة إلى دولة الأجداد " .. بل على الضمير الإنساني أيضا الذي غيبه الإعلام الصهيوني (المسيحي/ اليهودي) والذي أصبح فاقدًا لرؤية : " الحق .. والعدل .. والأخلاق .. والرحمة " .. وإشاعة منهاج " الدارونية الاجتماعية " بين الأفراد والشعوب والجماعات .. ليصبح الإنسان ذئبا لأخيه الإنسان .. وهو المنهاج الذي لن يقود البشرية إلا إلى الدمار والهلاك .. ناهيك عن خسران الإنسان لوجوده ومصيره على نحو أبدي لعدم تحقيقه للغايات من خلقه ..!!!

وأخيرا ؛ تبقى نقطة أساسية لا بد أن أشير إليها .. هي أن جميع المؤرخين الغربيين يسقطون من حساباتهم حجم التحريفات الهائلة .. التي حدثت في الكتاب المقدس .. والتي أودعته في حيز الكتب الأسطورية أو الخرافية في موسوعة العلم البشري^٤ ..!!! هذا إلى جانب .. وجود هذا الكم الهائل من التناقضات الفكرية التي تسقط معها أهلية هذا الكتاب ، وبالتالي يسقط معها كل حق ديني وتاريخي لبني إسرائيل .. في أرض المنطقة ..!!! ولا يُبقي على الاعتقاد في هذا الكتاب الأسطوري (الكتاب المقدس) .. سوى وجود الحيز الديني الفطري لدى الإنسان (على النحو الذي بينته) والذي يمكن أن يُملأ بأي وثنيات دينية وفكرية تحت تأثير عمليات غسيل المخ المختلفة والمنظمة .. والتي يجريها اليهود — على طول التاريخ — على هذا العالم الغافل بمهارة وغباء متبادل في نفس الوقت .. لأن الجميع خاسرون لوجودهم ومصيرهم في النهاية ..!!!

أما عن تأكيد هوية فلسطين الحديثة .. فيقول الدكتور / سلمان حسين أبو ستة .. وهو الرجل الذي قام بتوثيق الوطن الفلسطيني :

" لقد طفت أنحاء العالم .. واستطعت أن أجمع عدة آلاف من الكتب عن فلسطين بعضها مطبوع في القرن التاسع عشر .. من بينها كتاب لشاتوبريان وآخر للافونتين . وكذلك الموسوعة التي أعدها البريطانيون عن فلسطين الأرض المقدسة في عام ١٨٧١ برعاية الملكة

٤ كما سبق وأن ذكرت ، فإن الموسوعات العلمية الغربية عادة ما تقوم بتصنيف " الدين وعلم الأساطير : Religion and Mythology " في نفس قسم المعارف ، وكما نعلم أن الأساطير تعنى القصص الخرافية . انظر على سبيل المثال : " قاموس ويستر الموسوعي المطول : Webster's Encyclopedic Unabridged Dictionary " ، ص : ١٧٠٧ . وللتفاصيل أنظر مرجع الكاتب السابق : " الحقيقة المطلقة .. الله والدين والإنسان " ؛ مكتبة وهبة .

٥ " سجل النكبة ١٩٤٨ " (سجل القرى والمدن التي احتلت وطرد أهلها أثناء الغزو الإسرائيلي ١٩٤٨) إعداد د. سلمان أبو ستة / مركز العودة الفلسطيني — لندن . الطبعة الثانية سبتمبر ٢٠٠٠ .

فكتوريا وتقع في عشرة أجزاء .. وهي موسوعة تحتوي على ٢٦ خريطة لفلسطين عام ١٨٧٠ موضح عليها كل قرية وكل مزار . وملحق بها عشرة مجلدات واحد عن طيور فلسطين .. وآخر عن نباتات فلسطين .. واثان عن القدس : " الآثار العمرانية " .. إلى جانب مجلد به ١٥ ألف اسم مكان ومزار .. كلها أسماء عربية مدونة باللغة العربية والإنجليزية واللاتينية وليس بها اسم يهودي واحد !!!.. مما يثبت زيف الادعاء بوجود أماكن يهودية في فلسطين في تلك الحقبة من الزمان .

فإذا أضفت إلى شهادة الدكتور أبو سنة ؛ ما سبق وأن قمت بكتابته بإسقاط حق إسرائيل في المنطقة بشهادة الكتاب المقدس (أي بشهادة كتبهم المقدسة نفسها) .. هنا يصبح التحول في النموذج الإسرائيلي هو من الأمور الحتمية الواقعة لا محالة .. ولا يبقى سوى تبنيها إعلاميا .. ويتمويل مناسب من جانب العرب .. ومواجهة الغرب بها !!!..

إن الحكم بالباطل بمواثيق ومعاهدات دولية تعكس كراهية الغرب للعالم الإسلامي والمسلمين معا .. لا يعني أن الحكم أصبح ساري المفعول إلى الأبد .. فهذا مخالف للسنن الإلهية في حتمية التغيير . فعن وصف الصراع الدائر الآن في المنطقة .. يقول الحق تبارك وتعالى ..

﴿ وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا (٢) ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (٣) وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتْفُسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلِتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا (٥) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦) إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (٧) عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمُ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدتْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا (٨) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا (١٠٨) ﴾

(القرآن المجيد : الإسراء {١٧} : ٢ - ١٠٨)

وحول تفسير هذه الآيات الكريمة ؛ يكاد يكون هناك اتفاق تام على أن العلو الأول لبني إسرائيل في المنطقة كان بتكوين دولتهم الأولى (على جزء من أرض فلسطين) في أثناء فترة الحكم

الإسلامي لشاول (طالوت) ثم داود ثم سليمان ، وهو الحكم الذي بدأ عام ١٠٥٠ ق.م. وانتهى بموت الملك سليمان عام ٩٣١ ق.م. . وبعد فساد بني إسرائيل وضلالهم انقسموا على أنفسهم .. فانقلوا بذلك إلى حقبة تاريخية تالية انتهت بنكوبين دويلتين مختلفتين . دويلة " إسرائيل " في الشمال وقد دمرتها الحضارة الآشورية وتم سبيهم (بشكل نهائي) على يد الملك شلمنأسر عام ٧٢٢ قبل الميلاد . ودويلة " يهودا " في الجنوب وقد دمرتها الحضارة البابلية وتم سبيهم إلى بابل (على يد الملك نبوخذنصر عام ٥٨٦ قبل الميلاد) . وهكذا تحقق فيهم قوله تعالى .. ﴿ .. بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّقْعُولًا ﴾ .. عن علوهم الأول .

وهكذا زال تماما كل أثر لدولة بني إسرائيل القديمة من المنطقة منذ عام ٥٨٦ ق.م. إلى أن عادوا إلى الظهور مرة أخرى — بعد أكثر من ٢٥٠٠ سنة — في صورة إسرائيل الحديثة عام ١٩٤٨ ميلادية (راجع : الباب الأول / الفصل الأول) . أما عن العلو الثاني — المذكور في الآيات الكريمة — فنحن هنا إزاء احتمالين في تفسيره ..

• الاحتمال الأول

هو أن العلو الحادث — الآن — لبني إسرائيل هو العلو الثاني .. ويكون معنى قوله تعالى : ﴿ .. جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ (أن الله هو الذي يجمعهم الآن في حقيقة الأمر) وهو ما تقوم به حكومات إسرائيل المتتالية — في الوقت الحالي — بجمع الشعب اليهودي من جميع أنحاء العالم (أي : لفيفا) لكي يسكنوا في إسرائيل . والهدف من هذا الجمع هو تخليص العالم من شرورهم دفعة واحدة . فالحقيقة التي لا خلاف عليها الآن ؛ أن اليهود قد امتلكوا صناعة المال والسلطة والشهرة .. بمعنى أنهم يمتلكون مقدرات المال والصحافة والإعلام والاقتصاد .. أي يمتلكون كل ما يطمع فيه الإنسان من مغريات الحياة الدنيا ..!!! وبهذا فإنهم يوجهون الشعوب — بالتحكم في السلطة والمناصب — فيما يخططون له باستخدام هذه الأدوات . ولكن الخطأ الذي يرتكبه الآن هو اعتقادهم أنهم يمتلكون السيطرة على العقل البشري باستخدام الإعلام ومناهج غسيل الدماغ (أو المخ) .. وهو الخطأ الذي سوف يقودهم إلى الهلاك .. لأنهم تداخلوا مع حيز الإرادة الإلهية في خلق عقل الإنسان حرا لحكمة تحقيق الإنسان للغايات من خلقه ..

وعندما تكتمل سكنى بني إسرائيل في فلسطين .. تأتي النهاية في قوله تعالى .. ﴿ .. فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرُوا مَا عَلِمُوا

تَتَبِيرًا ﴿ . وقوله تعالى ﴿ .. لِيَسُوُّوْا وَجُوهُكُمْ .. ﴾ .. لها معاني جامعة منها أن وجوههم سوف تسوء لأن الله سوف يفضح كذب دعواهم في حقهم في تكوين دولتهم بالإجرام والاعتصاب .. ومنها أيضا أن وجوههم سوف تسوء بالحرز على نهايتهم المحتومة .

ولنا وقفة — هنا — لشرح معنى كلمة " المسجد " في السياق القرآني السابق وعلاقته بالهيكل المزمع بناؤه . فعن معنى " الهيكل " يقول قاموس الكتاب المقدس (ص : ١٠١٢) : (هيكل : هي كلمة سومرية معناها البيت الكبير . والهيكل هو مكان عبادة الله . وهو يقوم مقام الكنيسة اليوم .. وقد استعملت اللفظة بمعنى خيمة الشهادة في أماكن ثلاثة : صموئيل الأول ١ : ٩ و ٣ : ٣ ، وصموئيل الثاني ٢٢ : ٧) وخيمة الشهادة (أو الرب) هي التي استبدلت فيما بعد بهيكل سليمان . أي أن الهيكل — من المنظور الإسلامي — لم يخرج عن كونه " المسجد الإسلامي " . وبهذا المعنى تكون كلمة " المسجد " في السياق القرآني تعني الهيكل المزمع بناؤه في الوقت الحالي . وبهذا المعنى ؛ سوف ينجح اليهود في تدمير المسجد الأقصى وربما مسجد قبة الصخرة كذلك وبناء " هيكل سليمان " في مكانهما !!!..

ومن منظور هذا التفسير ؛ يصبح القتال مع بني إسرائيل هو أمر حتمي ومفروغ منه .. حتى يتحقق قوله تعالى : ﴿ .. فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوُّوْا وَجُوهُكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتَبِيرًا ﴾ ، وتتبيّر ما علو بعد دخول — العباد — المسجد (أي الهيكل) هو تدمير تماثيل الشيطان الموضوعه في قدس الأقداس داخل الهيكل .. كما سبق وبيّنت ذلك في المرجع السابق : " بنو إسرائيل .. من التاريخ القديم وحتى الوقت الحالي " .

وتشير الآية الكريمة إلى .. أنه ليس من المحتم أن يكون شعوب العالم الإسلامي هي التي سوف تقوم بقتالهم .. لقوله تعالى .. ﴿ .. بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾ فالبعث في هذا السياق القرآني تعني أنهم عباد لله (تَتَبَّرُوا) غير متوقعين — على الإطلاق — بعدائهم لليهود !!!..

والمثير للدهشة والاستغراب (في ظاهر الأمر .. وسوف أعود لهذا المعنى بعد قليل) أن الكتاب المقدس نفسه (أي كتابهم المقدس / في العهد القديم) يشير إلى نفس هذه المعاني (أي

٦ أنظر مرجع الكاتب السابق : " بنو إسرائيل .. من التاريخ القديم وحتى الوقت الحاضر " للإجابة على سؤال : هل هيكل سليمان .. هو المسجد الأقصى ..؟! (ص : ١٨١) . مكتبة وهبة .

تدمير إسرائيل) في " مدينة القدس " .. بعد طغيانهم (أي طغيان اليهود) في علاقتهم بالفلسطينيين .. ومع ذلك يوجد لديهم إصرار عجيب في تجاهل هذه النصوص .. كما تأتي في الفقرات التالية .. في نبوءة حزقيال (أحد أنبياء بني إسرائيل) ..

[(٦) هو ذا رؤساء إسرائيل كل واحد حسب استطاعته كانوا فيك لأجل سفك الدم ^٧ (٧) فيك أهاتوا أبا وأما . في وسطك عاملوا الغريب بالظلم . فيك اضطهدوا اليتيم والأرملة (٨) ازدرت أقداسي ونجست سبوتي (جمع يوم السبت) (٩) كان فيك أناس وُشاة لسفك الدم وفيك أكلوا على الجبال . في وسطك عملوا الرذيلة]

(الكتاب المقدس : حزقيال {٢٢} : ٦ - ٩)

وهكذا .. أصبح الشعب اليهودي .. حثالة فكرية ..

[(١٧) وأوحى إليّ الرب بكلمته قائلاً : (١٨) يا ابن آدم ، قد أصبح شعب إسرائيل لي نفاية . كلهم مثل النحاس والقصدير والحديد والرصاص في كور . صاروا حثالة فضة]

(الكتاب المقدس - كتاب الحياة : حزقيال {٢٢} : ١٧ - ١٨)

فيجمعهم الرب .. ويصب عليهم جمّ سخطه وغضبه .. وهي النهاية المحتومة والعادلة لكل ما اقترفته أيديهم .. من قتل وظلم واغتصاب .. ويقوم بإفنائهم وإزالة دولتهم ..

[(١٩) لأجل ذلك هذا ما يعلنه السيد الرب ، لأنكم كلكم قد صرتم نفاية ، فها أنا أجمعكم في وسط أورشليم (تحقيقاً لقوله تعالى : جننا بكم لفيفا) (٢٠) كما تجمع الفضة والنحاس والحديد والرصاص والقصدير في الكور ، لتنفخ عليها نار لتسبك . كذلك أجمعكم في غضبي وسخطي وأطرحكم وأسببكم (٢١) أجمعكم وأنفخ عليكم في نار غضبي فتسبكون فيها (٢٢) كما تسبك الفضة في بوتقة النار ، هكذا تسبكون فيها فتدركون أنني أنا الرب قد سببت سخطي عليكم]

(الكتاب المقدس - كتاب الحياة : حزقيال {٢٢} : ١٩ - ٢٢)

وبديهي ؛ يتفق هذا النص .. [فها أنا أجمعكم في وسط أورشليم] مع قوله تعالى .. ﴿ .. فإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ ..!!! أي هي سنة الله (ﷻ) اللامتغيرة .. والتي تقضي

٧ لايد وأن أشدد هنا على أن اليهودي الإسرائيلي قد حولته توراته إلى قاتل بلا حدود ، وهو ما أدى في النهاية - إلى جانب اليأس السياسي والاجتماعي - إلى ظهور المقاوم (وليس المقاتل) الفلسطيني الاستشهادي .

بعقاب القتلة والظالمين .. ولهذا يجمعهم الرب في أورشليم ليحرقهم فيها ويصب عليهم جام غضبه . ويعترف بهذا المعنى أيضا " الكتاب المقدس - كتاب الحياة " (ص : ٩٧٢) .. حيث يقول في مقدمته لسفر حزقيال ..

" إن رسالة حزقيال قائمة على قداسة الله غير المتحوّلة . وهي تشتمل على وعد وتحذير في آن واحد . هي تحذير لأن الله قد وعد بمعاقبة الخطيئة وهذا لا بد أن يتم .. وهي وعد لأن الله قد وعد أن يظل وفيا أميناً لمحبيه وهذا لا يمكن أن ينقض .. "

ومع كل هذا لم يتنبهوا إلى هذه الدلالات !!!.. سبحان الله !!!..

والآن ؛ قد أشرت في بداية هذه الفقرة إلى أن تجاهل بني إسرائيل لنصوص كتابهم المقدس التي تقضي بحرقهم في أورشليم (أي القدس) كما قال بهذا الرب يثير الدهشة والاستعراب (في ظاهر الأمر) .. ولكن في الواقع - أو في باطن الأمر - لا يوجد أي دهشة أو استعراب .. لأن حركة بني إسرائيل في الوقت الحالي مسيرة - باختيارهم - في اتجاه قوله تعالى .. ﴿ وَقَصِينَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لِنُفْسِدَنَ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلِتَعْلَنَ أَعْلُوًا كَبِيرًا ﴾ أي هو قدرهم المحتوم الذي قضى به الله (ﷻ) عليهم لظلمهم للعباد !!!..

وكما نرى فإن العظمة الإلهية تتيح لهم أن يصلوا إلى ذروة القوة .. وأن يجمعوا أقصى ما يستطيعون جمعه من سلاح (قنابل نووية / قنابل هيدروجينية / صواريخ طويلة المدى / صواريخ ضد الصواريخ / أقمار صناعية للتجسس لمعرفة حركة أي سيارة في الدول العربية حتى لا يؤخذوا على غرة .. وتحكم في العباد بالإعلام .. إلى آخره) في مقابل شعوب عربية مغيبة وفي غاية من الضعف والهوان .. شعوب تحالفت عليها أنظمتها لصالحهم أيضا .. أي لصالح بني إسرائيل !!!.. لكي تتجلى العظمة الإلهية بعد ذلك عند تدميرهم وهم في ذروة هذه القوة [هكذا تسبكون فيها (أي في القدس) فتدركون أنني أنا الرب قد سكبت سخطي عليكم] (حزقيال ٢٢ : ٢٢) وحتى لا ينسب فضل تدميرهم إلى غير الله سبحانه وتعالى !!!.. أي لا قيمة في كل ما يصنعون !!!..

• الاحتمال الثاني

في تفسير هذه الآيات الكريمة السابقة ؛ هو الرأي القائل بأن " العلو الثاني " قد حدث لبني إسرائيل في التاريخ الماضي .. وهنا يصبح تفسير الآيات الكريمة السابقة من منظور قوله تعالى .. ﴿ .. وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾ .. أي ﴿ .. وَإِنْ عُدْتُمْ .. ﴾ إلى ظلم العباد وقتلهم .. ﴿ .. عُدْنَا .. ﴾ ف ﴿ .. بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا .. لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَبِيرًا ﴾ ..

وهكذا ؛ إذا عاد بنو إسرائيل إلى القتل وظلم العباد (وهو ما يحدث جهارا في الوقت الحالي مع الشعب الفلسطيني الأعزل) سوف يتكرر عليهم العقاب الإلهي السابق بالضبط ، أي ﴿ .. وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا .. ﴾ إلى نفس السيناريو .. أي تكرار نفس الأحداث السابقة وبنفس النمط بالضبط حتى في حالة حدوث علوهم الثاني في الماضي . ومن خلال هذا المنظور يصبح قتال بني إسرائيل — في جميع الأحوال — من الأمور الحتمية والمنتوية أيضا ..!!! سواء تم ذلك على أيدي المسلمين أنفسهم أو تم ذلك على أيدي عباد آخرين غير مسلمين ..!!!

ويحسم الحق تبارك وتعالى أن دولة إسرائيل لن تدوم بل سيؤول ملكيتها إلى الفلسطينيين كنتائج طبيعية من قانونه الإلهي المحيط الذي ينص على أن الأرض يرثها عباده الصالحون .. وبديهي الشعب الإسرائيلي ، بعنصريته البغيضة وإرهابه وإجرامه والإبادة التي يجريها الآن على الشعب الفلسطيني الأعزل ، أبعد ما يمكن عن هذا المعنى .. أي عن الصلاح ..!!! وتأتي هذه المعاني في قوله تعالى ..

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥) ﴾

(القرآن المجيد : الأنبياء {٢١} : ١٠٥)

[في الزبور : أي في الكتب السماوية المنزلة (التوراة والإنجيل والقرآن) .. كما تطلق هذه الكلمة أيضا على " مزامير داود " ؛ كما جاء في قوله تعالى (.. وآتينا داود زبوراً) (النساء ١٦٣ ، الإسراء ٥٥) / من بعد الذكر : أي من بعد الذكر الذي في السماء / أن الأرض : في الدنيا والآخرة يرثها العباد الصالحون]

وكما يتأكد هذا المعنى أيضا .. في وعده تعالى لعباده المؤمنين ..

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥) ﴾

(القرآن المجيد : النور {٢٤} : ٥٥)

والآن وكما هو معلوم بالضرورة ؛ أن السلام المتوقع مع إسرائيل الناتج عن تسويات مجحفة ومفروضة على المنطقة – تحت الضغوط الأمريكية – سوف يقف على المستوى الرسمي للحكومات فقط .. بينما سوف يبقى السلام بين الشعوب بعيد المنال . كما قد تحمل اتفاقيات السلام المجحفة بذور حروب مقبلة بين الأطراف المتصارعة والتاريخ خير شاهد .

وأحد هذه الأمثلة التاريخية القريبة .. " معاهدة فرساي ^٨ : Treaty of Versailles " التي وقعها الحلفاء (بريطانيا وفرنسا وإيطاليا واليابان) عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى مع ألمانيا المنهزمة في ٢٨ يونيو ١٩١٩ .. وأصبحت المعاهدة نافذة المفعول في ١٠ يناير ١٩٢٠ بعد أن وقعتها ألمانيا . وقد فرض الحلفاء على ألمانيا شروطا قاسية دفعت بالاقتصادي الإنجليزي المعروف " كينز " إلى الانسحاب من الوفد البريطاني قائلا : " كيف يمكن لبلد مهزوم الوفاء بهذه الشروط ..!!! " وقد أدت هذه المعاهدة إلى تدمير وانهيار الاقتصاد الألماني تماما إلى درجة أن النقد الألماني (الورقي) كان يستخدم كوقود للتدفئة في عام ١٩٢٠ وهو ما مهد الطريق إلى بزوغ نجم " هتلر " كأمل للتحرك من معاهدة فرساي والقضاء على بنودها والآثار للشعب الألماني من فرنسا ..!!!

وقامت ألمانيا بالحرب العالمية الثانية وكان أحد أهم أسبابها الأثر من فرنسا ومحو العار الذي لحق بها بعد هزيمتها السابقة في الحرب العالمية الأولى وإجبارها على توقيع معاهدة فرساي . واكتسحت ألمانيا فرنسا ودخلت القوات الألمانية المنتصرة باريس في ١٤ مايو ١٩٤٠ (وفي ١٥ مايو كان " خط ماجينو " خاليا من الجنود الفرنسيين) . وأجبرت ألمانيا الفرنسيين على توقيع وثيقة الاستسلام في ٢٢ يونيو ١٩٤٠ في نفس عربة السكة الحديد التي وقع الألمان فيها وثيقة الهدنة (أو الاستسلام) في ١١ نوفمبر ١٩١٨ ، بعد هزيمتهم في الحرب العالمية الأولى ..!!!

٨ أنظر مرجع الكاتب : " الشعوب الإسلامية / عبر تاريخ السلطة .. وحتى الإرهاب الأمريكي " لتفاصيل الحربين العالميتين الأولى والثانية .

وبكل أسف ؛ فإن الفكر العربي (هذا بفرض أنه ليس عميلا لأمريكا وإسرائيل) يراهن الآن على إن إنجاز أي تسوية للصراع العربي الإسرائيلي سوف يغير من طبيعة إسرائيل العدوانية والإجرامية .. حتى لو تمت هذه التسوية في صيغة أقل من صيغة الحد الأدنى للمطالب العربية .. وهي الانسحاب الإسرائيلي من الجولان وجنوب لبنان والضفة الغربية وغزة . حيث تعتقد الأنظمة العربية الحاكمة أن هذه التسوية السلمية – وبأي صورة – سوف تضع قيودا على إسرائيل .. وبالتالي يقلل هذا من احتمالات لجونها للخيار العسكري والحرب ضد العرب ، خاصة في ضوء الخلل الفادح في ميزان القوى العسكرية على النحو السابق ذكره في الباب السابق !!!..

وبديهي ؛ هذا لم (ولن) يتحقق كما نرى في المذابح اليومية والإبادة التي تجريها الأنظمة الإسرائيلية المتتالية على الشعب الفلسطيني الأعزل (متمثلا في رؤساء حكوماتهم المتتالية وآخرهم (وقت إصدار الكتاب) : الإرهابي أرييل شارون) . وبذلك أغفلت النظم العربية الطبيعية الإجرامية للشخصية الإسرائيلية .. كنتاج طبيعي من قسوة قلوبهم .. كما يصفهم الحق – تبارك وتعالى – في قوله تعالى ..

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً .. (٧٤) ﴾

(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ٧٤)

وهذه الشخصية الإجرامية يزكيها ويحافظ على استمرارها .. المرجعية الدينية لتعاليم كتبهم المقدسة !!!.. ولهذا تصبح المواجهة الفكرية أمرا ضروريا وحتما .. بعد أن فقدنا المواجهة العسكرية !!!..

• وكلمة أخيرة حول عمر الدولة اليهودية ..

ويبقى كلمة أخيرة أرى من المفيد ذكرها فقط – ولا أود التعليق عليها ، ولكن أذكرها لتكاملية هذا الفصل – حول عمر الدولة اليهودية المتوقع . فكما سبق وأن ذكرت في المرجع السابق : " بنو إسرائيل .. من التاريخ القديم وحتى الوقت الحاضر " (مكتبة وهبة) .. هناك من يرى أن هذه الآيات الكريمة (السابق ذكرها من سورة الإسراء) تحوي النبوءة الخاصة بعمر دولة إسرائيل الحديثة وأن عمرها سوف يكون ٧٦ سنة هجرية فقط من تاريخ نشأتها .. أي سنة ميلادية . بمعنى إذا كان تاريخ نشأة دولة إسرائيل الحديثة هو عام ١٩٤٨ .. فإن تاريخ نهايتها هو عام : ١٩٤٨ + ٧٤ = ٢٠٢٢ ميلادية .

والرقم ٧٦ جاء من : أن عدد كلمات الآيات الكريمة من أول كلمة : " آتينا " .. وحتى كلمة : " وليدخلوا " هو ٧٦ كلمة .. ﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ .. لِيَسُوِّزُوا وَجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ .. ﴾ أي أن ٧٦ هو عدد الكلمات من بداية النبوءة بنزول الوحي على موسى (عليه السلام) .. وحتى دخول العباد المناط بهم تدمير دولتهم الحديثة . هذا وقد اعتبر البعض أن هذا العدد فيه إشارة إلى سنوات عمر دولة إسرائيل الحالية .

كما يوجد حساب آخر لهذا الرقم الحسابي يأتي من أن عدد آيات نفس هذه السورة (أي سورة الإسراء) هو ١١١ آية . وأن كل آية تنتهي بكلمة مثل : وكيفا ، شكورا ، لفيفا ، .. وهكذا . فإذا أحصينا عدد هذه الكلمات بدون تكرار فسوف نجد أنها ٧٦ كلمة أيضا ..!!! والكاتب يمسك عن الكلام عن هذه الأرقام .. بديهي ؛ لأن الغيب لا يعلمه إلا الله وحده (ﷻ) .. ولكن كان يجب الإشارة إلى هذا الحساب لتكاملية هذا الفصل فحسب .

• ثالثا : التحول في النموذج الديني :

كما سبق وأن بينت في " الباب الأول / الفصل السابع " من هذا الكتاب ؛ أن التحول في النموذج الديني هو : الانتقال بالقضية الدينية من حيز التعدد النسبي إلى حيز الواحد المطلق . وهنا يمكن معالجة القضية الدينية بنفس خطوات وأسلوب معالجة القضايا والنظريات العلمية . وبالتالي يصبح لدينا المقاييس الحقيقية (**The true measures**) للحكم على صحة الدين الحق من بين الديانات الباطلة .

وترجع قيمة التحول في النموذج الديني إلى بيان المعنى الحقيقي والمطلق للدين ، وهو المعنى الذي لم يفهمه الغرب بعد ، وبالتالي يمكن الحكم على صحة الدين من خلال المنهاج العلمي والاستقراء والاستنباط الرياضي . وهو ما يؤدي - في النهاية - إلى اكتشاف معنى الحقيقة المطلقة من جانب .. والغايات من خلق الإنسان ووجوده من جانب آخر . وهو ما يعني تحقيق السلام على الأرض بأشمل وأعم معانيه . وقد سبق مناقشة بعض من هذه المعاني في الباب الأول / الفصل السابع من هذا الكتاب ؛ كما سيتم أفراد مرجع كامل يناقش فيه هذه المعاني بتفصيل موسع وبراهين رياضية وفيزيائية قاطعة .. ويحمل اسم : " التحول في النموذج الديني .. القرآن المجيد : العهد الحديث " (مكتبة وهبة) .